مجلس الصحابة خلال العصر العباسى الأول

الدكتور سليمان الرحيلى

أستاذ التاريخ المشارك بجامعة الامام بالرياض

مجلس الصحابة خلال العصر العبّاسى الأول

ملخص البحث

يعد مجلس الصحابة احدي المؤسسات السياسية المهمة خلال العصر العباسى الاول ، واحدي صور الشوري التى عرفت فيه ، واستعان بها خلفاؤه .

ويتناول هذا البحث ظهوره ، وصفات أعضائه ، وعددهم ، وأوقات اجتماعه ، وآدابه ، والقضايات التى تناقش فيه . وما طرأ عليه من تغيير ، وما ينبغى أن يكون عليه ، والدعوة الى وجود فروع له فى الاقاليم وتعليل ذلك .

البحث :

تعد الشورى احدى دعائم الحكم المهمة فى الاسلام، وركيزة أساسية فى صلاحه واستمرار نجاحه فى الداخل والخارج فى مختلف المجالات (١). وقد امر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم بصريح النص (وشاورهم فى الأمر) (٢). مع انه اكمل الخلق فيكون غيره بها ألزم والتكليف أوجب، لتحرى فعل الصواب والبحث عن مظانه. ومن ثم امتدح رأى الجماعة وأثنى عليهم باتباع الشورى (٣)(وأمرهم شورى) (٤). وذم الاستبداد بالرأى واتباع الهوى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله) (٥).

وقد شاور عليه السلام أصحابه فرادى ومجتمعين فى أمور عدة قبل اتخاذ القرار، ودعاهم للاجتماع للتشاور اذا ما حزبه أمر وناداهم لذلك بما يشبه نداء الصلاة، لتأكيد الأهمية، وخاطبهم بقوله: « اشيروا على » (٦).

ولما كان هذا مبدأ فى الحكم وعظيم الأمور فقد سار عليه خلفاؤه من بعده فهذا أبو بكر رضى الله عنه يستشير الصحابة فى الموقف من الردة، وكان مجلس عمر بن الخطاب يغص بالعلماء والقراء من الكهول والشباب وربما استشارهم كلهم ويذكرهم بأن يبدى كل واحد مذهم رأيه أنى كانت حداثة سنه (٧). وكان يوجد فى عهد الخليفة معاوية بن ابى سفيان مجلس الأشراف وقد خاطبهم عند دخولهم عليه بقوله: « يا هولاء انما سميتم أشرافا لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس » (٨). وكتب عمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة الى الحسن البصرى أن اعنى باصحابك (٩). وكان لبعض الولاة فى العصر الأموى رجال يحضرون مجالسهم ويشيرون عليهم بالرأى وكان عمر بن هبيرة يتعوذ ممن كانت صحبته من أجل نفسه وتحقيق مأربه الخاصة، ونسيان المصالح العامة للناس وتذكير الحكام بهاوحثهم على فعلها (١٠). وهى اشارة الى ما اعترى مجالس بعض الخلفاء والولاة من خلل وغشيانها من قبل أصحاب الأطماع والحاجات الفردية.

وفى العصر العباسى الأول يعد مجلس الصحابة أحدالمؤسسات السياسية المهمة فهو بمثابة مجلس للخليفة يتألف من مشاهير الناس وأعلام الأقاليم . يحضرون مجلسه ويشركهم فى أمر البلاد والعباد ويحفون به فى مناسبات الدولة المختلفة مثل استقبال الناس والسفراء وتقليدولايةالعهد والأعياد وكانوايختارون بعناية لأهمية الدور الذى يقومون به ونيل الهدف الذى يستصحبهم الخلفاء من أجله، وهو ابداء الرأى للخليفة فى أمور الدولة ومعايش الناس وتصريف شئون أقاليم بلدانهم وذلك لسببين مهمين أولهما : تأسيا بالرسول عليه السلام واقتداء بسنته فى الحكم ، فقد أمره الله

بالشورى فيه وأثنى على من يقومون بذلك وحسن عملهم على نحو ما مر وقد جاء هذا بحقه والوحي يتنزل عليه وهو خير الناس وأبر وأعلم بأمور الحكم ممن سواه (١١).

ثانيهما : كثرة انشغال الخليفة لعظم وظيفته واتساع الدولة وتعدد أقاليمها وكثرة أمورها وقضاياها مما قد يفوت عليه بعضها أو يشغله عنها أو لا يعطيها الاهتمام المناسب أو لا تصله بما فيه الكفاية (١٢).

كما يظهر أن الدولة العباسية أسست هذا المجلس منذ قيامها لاظهار الاختلاف بين عهدها والعهد الأموى السابق من حيث تغليب الشورى والحكم بالعدل والمساواة وعدم الاستبداد بالرأى فلا أعز على الناس وثقتهم فى الحاكم من احاطته بأهل العلم والخبرة والحذق بتدبير الأمور والوعى بمقتضياتها وتقريبهم ومجالستهم والركون اليهم وتقديمهم على غيرهم واتخاذهم أصحابا (١٣) يشاورهم في معضلات الأمور وفق مجالها وطبيعتها فيشاور القادة فى أمر الحروب، وأرباب السياسة فى الحكم والادارة، والمعيار هو كل فى بابه بحيث لا يعتمد على رأى واحد (١٤).

ويقرر الطرطوشى أن مشورة ذوى الرأى والتجربة تعد من الملك وقواعد السلطة ، ويفتقر اليها الرئيس والمرؤوس (١٥). فهى لهم بمثابة الشعار والدثار. وكذلك لاضفاء بعض مظاهر الاسلام الأولى على الحكم العباسى الجديد مثل اعلان النسب الهاشمى وليس البردة والاعتماد على رجال يعرفون باسم الصحابة كانوا يلازمون الرسول عليه السلام والخلفاء الراشدين من بعده.

ويعد رأى ابن المقفع حول مجلس الصحابة أوسع الاراء المعاصرة التى وصلتنا حوله، ولكن الرسالة التى وسمها بهذا الاسم لم تكن مقصورة عليه وحده فقد تحدث فيها عن موضوعات أخرى كالجند الخرسانى والخراج وأهمية الحرمين وانما سماها برسالة الصحابة (١٦) من باب التغليب واننا عرفنا أن المؤلف توفى سنة ١٤٢هـ وأنه يخاطب فيها الخليفة المنصور فان تاريخ كتابتها يعود الى السنوات الست الأولى من خلافته وأرجح أنها كتبت فى السنوات الثلاث الأولى منها ، وذلك أن مثل هذه الرسائل تنشأ وتوجه للخلفاء فى بداية توليهم الحكم.

ولهذا كان ابن المقفع من أوائل الذين أبدوا رأيهم فى أعضاء هذا المجلس ومراعاة عدة صفات فيهم، فقد كتب الى الخليفة أبى جعفر المنصور قائلا:« ولصحابة أمير المؤمنين – أكرمه الله – مزية وفضل ، وهى مكرمة سنية ، حرية ان تكون شرفا لأهلها، وحسبا لأعقابهم ، وحقيقة أن تصان وتحظر ، ولا يكون فيها الا رجل بدر بخصلة من الخصال ، أو رجل له عند أمير المومنين خاصة بقرابة أو بلاء ، أو رجل يكون شرفه ورأيه وعمله أهلا لمجلس أمير المومنين وحديثه ومشورته، أو صاحب نجدة يعرف بها ويستعد لها ، يجمع مع نجدته حسبا وعفافا، فيرفع من الجند الى الصحابة ، أو رجل فقية مصلح يوضع بين أظهر الناس لينتفعوا بصلاحه وفقهه ، أو رجل شريف لا يفسد نفسه أو غيرها » (١٧) .

وحث أحد الناس المنصور بعد أن جهد نفسه فى مقابلته على اتخاذ صحابته ومعاونيه فى تدبير أمور الدولة من الأئمة الأعلام المرشدين ففيهم صلاح للراعى والرعية (١٨) وقد وصفوا بانهم كالبنيان المرصوص يشد

بعضه بعضا ، فالخليفة يستعين بهم على أمور الدولة [١٩] وقد مثل لحد الخلفاء العلاقة بينهم وبين الحاكم بقوله: « انى وأصحابى كأصابع الراحة فى حاجة بعضها الى بعض وقوة بعضها ببعض » [٢٠] . فهم على مسئولية خطيرة (فانهم يوم يقتل أحدهم بالبعض قد قتلوا جميعا) والفعل الحسن والسلوك القويم يحيون به جميعا [٢١].

كما كتب القاضى العنبرى [٢٢] للمهدى بشانهم يقول:« فان رأى أمير المؤمنين أن يكون بحضرته قوم منتخبون من أهل الأمصار ، أهل صدق وعلم بالسنة ، أولو حنكة وعقول وورع لما يرد عليه من أمور الناس وأحكامهم، وما يرفع اليه من مظالمهم فليفعل » [٢٣].

وقد وجه المامون أبناءه باتخاذ هؤلاء وأمثالهم أصحابا ومشيرين بقوله: « ارجعوا فيما اشتبه عليكم الى آراء أهل الحزم من أعوانكم المجربين، والمشايخ المشفقين فانهم يرونكم ما لا ترون ، ويكشفون لكم أغطية ما لا تعلمون ، فقد صحبوا لكم الدهور ، وما رسوا لكم الأمور ، وعرفوا حوادث الأزمنة وأعراضها ، واقبالها ، وادبارها ، فروضوا انفسكم لهم ، وتجرعوا مراراتهم، فقد قيل : من جرعك مرا لتبرأ أشفق عليك من جرعك حلوا لتسقم ... واعتبروا فى علو الهمة بمن ترون من وزرائى وخاصتى .. واستكفوا الثقاة»[٢٤].

ومن مجموع تلك الأقوال نستخلص بعض الصفات المهمة التى ينبغى أن يتحلى بها هولاء مثل العلم والورع والصدق والحنكة ورجاحة العقل وحسن البلاء والقرب من أمير المومنين وعلو النسب والحسب من مختلف الأمصار والأجناس .

ويمكن أن نستقرئ ذلك بوضوح أيضا من خلال أسماء بعض أعضاء مجلس الصحابة التى وصلتنا ذلك أن بعضهم كانوا قضاة وبعضهم قادة ووزراء وكتابا وأشرافا ، وسواء من البيت العباسى أو من خارجه أو من علية القوم فى أقاليمهم أو بين قبائلهم ، مثل خالد بن صفوان الذى اشتهر بالفصاحة والبلاغة ، وكان من جلساء الخلائف عمر بن عبد العزيز وهشام وأبى العباس [٢٥]. والحجاج بن أرطاه وهو من علماء الحديث فى القرن الثانى ، وكان من خواص الخليفة المنصور الذين أشركهم فى التخطيط لبناء مدينة بغداد والاشراف على تنفيذه [٢٦]. وسلم بن قتيبة الباهلى أحد جلساء المنصور وهو واحد من الذين استشارهم فى القضاء على أبى مسلم الخراسانى قبل أن يتم [٢٧]. وجعفر بن حنظلة البهرانى وكان من رجال المنصور ، وقد دخل عليه ساعة الانتهاء من مقتل أبى مسلم فكان أول من أيده فى ذلك [٢٨]. ومعن بن زائدة الشيبانى أحد المشهورين بالفروسية والشجاعة والجود ، أحد قواد الدولة الأموية ، وبعد ذلك جعله المنصور من خواصه [٢٩]. ومنهم الوليد بن حصين المشهور بالشرقى بن القطامى كان عالما بالأدب والأنساب استقدمه المنصور وجعله من صحابته ، وضم ابنه المهدى اليه لتعليمه [٣٠]. وضم هارون الرشيد عبد الواحد بن بشر النضرى الى صحابته عندما قدم عليه وافدا على رأس جماعة من أهل الشام فتكلم فى قضية دم فى مجلس الخليفة بكلام بليغ فأعجب به الخليفة وبرأيه فضمه الى صحابته [٣١]. وغير هؤلاء كثيرون ممن تناثرت أسماؤهم فى كتب التراجم والتاريخ والأدب سواء ممن عرفنا أم ممن لم تصلنا أسماؤهم فقد خرج صالح بن على من مصر عند توليته على فلسطين فى عهد أبى العباس ومعه عدة من أهلها صحابه لأمير المؤمنين [٣٢]. ويذكر معن بن زائدة الشيبانى الذى

كان من اشهر أعضاء هذا المجلس أن عددهم فى وقته كان سبع مائة اذ يقول : « كنا فى الصحابة سبع مائة رجل فكنا ندخل على المنصور فى كل يوم »[٣٣] وعندما اتخذ المهدى يعقوب بن داود وزيرا له فى سنة ١٦١ هـ ضم اليه عددا كبيرا من متفقهة أهل البصرة والكوفة والشام وجعل على كل أهل بلد رئيسا عليهم[٣٤].

وكل ذلك يشير بوضوح الى كثرة أعضاء مجلس الصحابة خلال هذا العصر ، كما يشير أيضا إلى ما روعى فى اختيارهم من أقاليم مختلفة مثل خراسان والعراق والشام ومصر . بغية ارضاء أهل أقاليم الدولة كلها ولا سيما المهم منها ، ولعدم استئثار أهل اقليم بصحبة الخلفاء والتأثير عليهم دون غيرهم. وهو ما ظل مرعيا فى هذا العصر الى حد كبير ، واختل فى العصر التالى فاستبدت بحجب الخلفاء وصحبتهم بعض الشعوب كالترك والديلم دون غيرها.

وعلى الرغم من أن أكبر رقم نعرفه لعدد أعضاء هذا المجلس هو ما أشار له أحد أعضائه من قبل وهو سبع مائة فان دخولهم على الخليفة كل يوم فيه نظر، ولا سيما مثل المنصور الذى وصلنا تفصيل عن برنامجه اليومى يظهر منه انه كان مشغولا بأمور الدولة سحابة نهاره من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وولاية وعزل والنظر فى أخبار الأقاليم العسكرية والادارية والمالية [٣٥]. ومن ثم لا نجد فى هذا البرنامج ما يشير الى احتمال استقبال مجلس الصحابة كل يوم الا أن يكون بعد العشاء الاخرة حيث كان يشاور سماره فيما يستجد من أمور [٣٦]، وهذا أيضا ما يقرره أحد الفقهاء من لزوم اجتماع الخليفة بخاصته المستعان بهم فى التدبير فى كل الأيام [٣٧] ويرى الجاحظ أن أنسب وقت ذلك يكون فى صدر كل يوم [٣٨]. أما ابن حزم فقد

حدد وقته ما بين صلاتى العصر والمغرب [٣٩] والراجح أن اكثر الخلفاء فى هذا الوقت كانوا يجتمعون ببعضهم وأحيانا بهم كلهم فى كل يوم وهذا أقرب للقبول لضيق وقت الخليفة وكثرة العدد وربما ضيق المكان أيضا.

وعلى العموم فان هذا المجلس لم تكن له صفة الهيئة السياسية المنظمة التى تتخذ مقرا وأوقاتا محددة لاجتماعاتها ومن ثم ابداء الرأى الجماعى فى أمور الدولة وتقديمه للخلفاء، وانما كانوا فى الغالب يرجع لهم فرادى أو يبدون رأيهم فيما يعرض بحضورهم فى مجالس الخلفاء [٤٠]. اما من حيث ترتيبه وجلوس أعضائه فقد كان الناس فى مجلس الخليفة المنصور يجلسون على قدر انسابهم ومراتبهم ، وكان لصحابه الخليفة من بينهم مكان قريب نظرا لعلو مرتبتهم وتقدمتهم على كثير من الناس ، وربما كان جلوسهم على عشرة أذرع من الخليفة على نحو ما كان يراعى فى مجالس ملوك الفرس[٤١]. ولما أراد أحد أعضاء مجلس الصحابة وهو معن بن زائدة أن يكون آخر من يدخل على الخليفة قال له وزيره عند بابه : « لست بأشرفهم فتكون أولهم ولا بأخسهم نسبا فتكون فى آخرهم ، وان مرتبتك لتشبه نسيك»[٤٢].

ولصحبة الخلفاء قواعد وآداب مرعية سواء من جانب الخليفة كمالاقتهم بالسلام والتحية واظهار المودة؛ ومخاطبتهم بلين الكلمة، وانزالهم فى مجلسه على أقدارهم ومراتبهم والتجاوز عن هفوات بعضهم [٤٣]. أم كانت تلك الآداب من قبل أصحابه لزاءه مثل التجمل والوقار فى مجلسه والتزويد بالعلم فانه صفة مهمة فى الصاحب والجليس والمشير وغيرهم، ومحض الرأى والنصح له دونما مواربة أو هوى أو مصلحة فى غير ما استبداد أو تعصب أو عجب. والوقوف فى حدود المعرفة والخبرة حول ما يطلبه الخليفة ، وترك ما لا يعرفه

او يحيط به للآخرين لافادته فى بابه (٤٤). فضلا عما ظهر منها مثل اعتدال الجلوس وهدوء الجنان، وعدم الضحك أو التثاوب ونحو ذلك (٤٥). وهى قواعد وآداب وان لم تكن مقصورة على مجلس الصحابة فى هذا العهد الا أن الطرفين كانا على علم ومراعاة لها وكتب سياسة الملك وسير الحكام الفارسية واليونانية والعربية تفيض بهذه الآداب ، وكانت منتشرة فى ذلك العصر وكان بعض الخلفاء يخصص جزءا من وقته لقراءتها والاطلاع عليها.

ولم يكن ايضا مجلس الصحابة مقصورا على جنس دون غيره فقد كان من بين أعضائه العرب والموالى من فرس ونصارى نحو بعض الوزراء والكتاب والأطباء ولكن اظهر عناصرهم العرب والفرس حيث شكل هولاء سواء موظفى الدولة فى هذا العصر ورجالاتها. بل ان التنافس بينهم انعكس ايضا على صحبة الخلفاء من حيث الانفراد والتأثير والحجابة لهم.

ويروى الطبرى أن أبا عبد الله وزير المهدى عندما كان وليا للعهد لما رأى من غلبة الموالى عليه وخلوتهم به « نظر الى أربعة رجال من قبائلشتى من اهل الأدب والعلم فضمهم الى المهدى فكانوا فى صحابته فلم يكونوا يدعون الموالى يخلون به .. » (٤٦).

وفى عهد المهدى حدث تحوير فى اسم مجلس الصحابة الى اسم الخاصة أى خاصة الخليفة وقد تجاوز هذا التحوير - فيما يبدو - الاسم الى وظيفته السياسية والادارية لسببين لولهما أن هذا المجلس لم يعد يشابه الصحابة الأوائل أو حتى يليق أن يحمل اسمهم . وثانيهما انه غدا تشريفيا ينعم الخليفة أو يتألف به من يشاء من رجال دولته (٤٧).

وقد يكون هذا الاتجاه هو ما دفع أحد الفقهاء فيما بعد الى القول بوجوب اتخاذ الخليفة له مجلسين لحدهما عام والآخر خاص للمواءمة بين صفة صحابة الخلفاء الأوائل وما طرأ على مجالس المتاخرين ويكون الأول من ذوى المنزلة والجاه والصلاح للفتيا والشورى في الدولة . والثاني ممن غلب عليه المرونة وتحمل مجالس الحكام واشتهر ببعد نظره وسعة علمه وأدبه ورجاحة عقلة وكثرة خبرته بأمور الحكم والقدرة على مواجهة الناس (٤٨).

ولا شك أن هذا التحول هو اتجاه نحو ضعفه وتوزعه ومظهريته في سدة الدولة واضمحلال دورة في قرارها السياسي والمظهر الأوضح منه هو عندما بدأ الوزراء يتخذون لهم خاصة يحيطون أنفسهم بهم اما تقليدا للخليفة أو لاستمالة عليه القوم بالانخراط في خاصتهم لانضاج قرارهم أمام الخليفة ودعم ما يقدمونه له من رأى ومشورة أو ليبزوا بهم منافسيهم لا سيما عندما تمكن هولاء الوزراء ومن هؤلاء مثلا البرامكة في عهد الرشيد حيث كان لهم مجالسهم الخاصة وصنائعهم وكتابهم دون الخليفة حتى قصدهم الناس دونه وأصبحت دورهم تغص بهم وارتفعت جلبتهم وانصرفت نحوهم الوجوه(٤٩). وقد انتقد مجلس الصحابة في هذا العصر منذ وقت مبكر من حيث شروط اختيار أعضائه وتدخل الوزراء والحجاب في ذلك ، وحرص البعض عليه وزهد الأكفاء فيه .

ولهذا عدت الشفعة في اختيار أعضاء مجلس الصحابة عيبا يلحق بالعصر القادم بواسطتها وخطرا ما حقا يضر بمصالح الدولة يؤدى فيما يؤدى إلى تأخير الأكفاء وعدم مباشرتهم ومشاركتهم في ادارتها وملازمتهم لأولى الأمر فيها ومعاونتهم ، ومن ثم يوسد الأمر بهذه الوسيلة لغير أهله.

وكثيرا ما يقوم بها الوزراء والكتاب والحجاب نحو أناس تربطهم بهم علاقة أو مصلحة مشتركة دون بلاء أو رتبة أو سابقة فضل تقدمهم على غيرهم (٥٠).

وأشهر من عاب هذا المجلس وطريقة أعضائه فى عهد أبى العباس ابن المقفع فقد وصف تدخل الوزراء والكتاب والحجاب فيه قبيل مجئ المنصور بأن كان (عملا قبيحا مفرط القبح مفسدا للحسب والأدب والسياسة داعيا للأشرار وطارد للأخيار ، فصارت صحبة الخليفة أمرا سخيفا)(٥١).

وهذا الرأى بليغ ويحمل بين ثناياه نقدا لاذعا لمجلس الصحابة عندما يتساهل فى أمره ويساد اختيار أعضائه وبدون شك فالنتائج خطيرة من فساد لسياسة الدولة وتكالب الأشرار عليه وابتعاد الأخيار وزهدهم فيه حتى يقرر ابن المقفع أن أمير المؤمنين أبا العباس دعا أناسا من وجوه أهل البصرة لضمهم لأصحابه (فأبوا أن يأتوا فمنهم من تغيب فلم يقدم ومنهم من هرب بعد قدومه اختيار للمعصية على سوء الموضع)(٥٢).

ويرى ابن المقفع أن شروط اختيار أعضاء مجلس الصحابة قد اختلت وأصبح من أعضائه من ليس أهلا أن يكون فيه فتقدم فيه أناس وينادى بأسمائهم ليس لهم بلاء أو شرف فى الدولة وتأخر آخرون لهم الحق فى أن تكون لهم منزلة مقدمة على غيرهم (٥٣). اذ يقول :

« وان أمر هذه الصحابة قد كان فيه أعاجيب دخلت فيها مظالم . أما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول : ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة ممن لا ينتهى الى أدب ذى نباهة، ولا حسب معروف ، ثم هو مسخوط الرأى، مشهور بالفجور فى أهل مصره، قد غير عامة دهره صانعا بعمل بيده ، ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء ، الا أنه مكنه من الأمر صاغ ،

انتهى (الى) حيث أحب ، فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار ، وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب ، ويجرى عليه من الرزق الضعف مما يجرى على كثير من بنى هاشم وغيرهم من سروات قريش ، ويخرج له من المعونة على نحو ذلك . لم يضعه بهذا الموضع رعاية رحم ، ولا فقه فى دين ، ولا بلاء فى مجاهدة عدو معروفة ماضية شائعة نديمة ، ولا غناء حديث ، ولا حاجة اليه فى شئ من الأشياء ولا عدة يستعد بها، وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة » (٥٤). والملاحظ أن ابن المقفع يتحدث بصيغة الماضى أى عن حال هذا المجلس فى عهد أبى العباس وفى ذلك حذق سياسى منه فى توجيه النصح للخليفة ابى جعفر المنصور لكى يصلح من شأن هذا المجلس ويحاول عدم تكرار بعض الأخطاء التى أخذت عليه من قبل . ولكن بدون شك فقد كان نقده لاذعا ولكن بصورة تتفق ومخاطبة الخلفاء والأدب معهم وهو أمر لم يخف على ابن المقفع.

كما انتقد أحد الناس المنصور بقصر الدخول عليه على نفر سماهم الخليفة ووثق فيهم واستخلصهم دون عامة الناس حتى نال من هؤلاء بقوله: «فاقصروا على ألا يصل اليك من علم أخبار الناس الا ما أرادوا» (٥٥).

كما ذكر ابن المقفع الخليفة بالمعاناة والفساد الذى يعانى منه الناس فى أقاليمهم ودعاه الى تعهدهم بمجالس خاصة من أهل الثقة والفضل والصلاح وفى ذلك دعوة الى انشاء مجالس اقليمية خاصة أو فروع لمجلس الصحابة فى الدولة هناك أو دعوة الى عدم مركزية مجلس الصحابة ويعلل وجود فروع لمجلس الصحابة فى الأقاليم أو انشاء مجالس خاصة بها يأمرون هاهين أولهما ثنى أهل الفساد والفرقة عن الثورة والزلل وحملهم على الصلاح والألفة

واجتماع الكلمة وثانيهما مراقبة أحوالها ومتابعتها (حتى لا يتحرك متحرك في أمر من أمور العامة الا وعين ناصحة ترمقه) فلا يستطيع أهل الفساد والأهواء التحريض للناس على الفتن والاخلال بالأمن في تلك الأقاليم [٥٦]. وهو نظام يؤدى الى ضبط أمور الدولة ، وحضور سلطتها وحسن توزيع رعايتها سواء في مركزها أم في أقاليمها الأخرى [٥٧]. وأينما كان مجلس الصحابة سواء في مركز الدولة بالنسبة للخليفة أم في الأقليم بالنسبة للوالى فالعبرة باهلية هذا المجلس وكفاءة أعضائه والدقة في اختيارهم وجعل سواده من أهل العلم والبصر بأمور الدول وأحوال الناس في كل ناحية أو اقليم أو مجتمع فهم أهل للثقة والمعاونة في ذلك وأجدر بأن يكونوا البطانة وأهل الخاصة [٥٨]. وقد شبه وجودهم في مجالس الخلفاء والحكام بمثابة المصابيح في قصورهم التي تزينها وتضئ لهم الطريق ، كما أنعطاءهم يزداد بالحرص عليهم وتقريبهم وتعهدهم بالسؤال والمشاورة [٥٩]. وتفريغهم لهذه الوظيفة الجليلة وعدم شغلهم بالكدح في معايشهم فان خلو مجالس الخلفاء منهم نتيجة لذلك مؤشر على تدهور الدولة وتمكن أهل الأهواء والفساد والهزل فيها [٦٠].

والخلاصة أن أهداف مجلس الصحابة تركزت في عدة أمور أهمها رفع حاجة من لاتصل حاجته أو خبره الى الخليفة من فرد أو فئة أو مدينة أو اقليم [٦١]. ومساعدة الخلفاء في اشاعة الحق والعدل والمساواة بين الناس في مناحي حياتهم ورفع الظلم والجور والفقر عنهم حيثما كان وأنى كان نوعه أو علو منزلة فاعله من الولاة والوزراء وغيرهم [٦٢].

ومناقشة هذه الأمور فى مجالس الخلفاء يساعدهم فى معرفة أحوال الدولة فى مختلف أحوالها وأقاليمها فالرعية لا تزال ذات سلطان واحد ما وصل ممثلوها وهم أعضاء هذا المجلس وأمثالهم وأوصلوا أحوالها الى الحاكم وأعانوه عليها ، فاذا احتجب عنهم وحجبوا عنه ساءت الأوضاع وتعدد السلاطين (٦٣). وتوزعت الأهواء وساءت بهم الظنون . ولهذا كله عاشت الدولة العباسية قوية فى عصرها الأول الى جانب عوامل أخرى أسهمت فى ذلك مثل قوة خلفائها وقتذاك ، وهى القوة التى أحسنت الاختيار والتوظيف للأكفاء فكان مجلس الصحابة جملة من ذلك وهو بدوره كان السند لها والدعامة التى اعتمد عليها الخلفاء وأمدتهم بالرأى والمشورة كما يأملون وما ينبغى أن يكونا عليه .

ولما ضعف مجلس الصحابة فى الدولة واختلت شروطه وبعد عنه الأكفاء وحادت أهدافه وأغرضت ، كان ذلك من علائم ضعف الدولة وانحسار عصر القوة وتوارى ملامحه الى جانب عوامل أخرى بالطبع أسهمت فى ذلك أيضا ولكن مهما كانت تلك العوامل واضحة الا أن المعاصرين للأوضاع أدركوا وضوح ضعف المشير وغيابه عن نصح الخلفاء ومراقبة الوزراء والولاة (٦٤). ومن ثم فقد كان مجلس الصحابة أحد مظاهر الشورى فى هذا العصر وصورة واقعة من صور تطبيقاتها وتوظيف أهل الرأى والخبرة ليكونوا معاونين لصاحب القرار وافادته فى الوقت والمجال المناسبين فهو لحد دعائم الحكم التى اعتمد عليها الخلفاء العباسيون الأوائل فى ادارة أمور الدولة ، ولا يعنى هذا أنه كان الوسيلة الوحيدة فى ذلك أو قصر مفهوم الشورى عليه أو أنه كان يوازى وظيفة أهل الحل والعقد فى صدر الاسلام أو كما ينبغى أن يكون عليه، بقدر ما كان مناطه ابداء الرأى حول عظيم الأمور ، وعدم

الاستبداد فيه ، واستكفاء الثقاة والاعتماد عليهم في تدبير شؤون الدولة وعمرانها ومعايش أهلها.

(١) عن موضوع الشورى، انظر : الشيزرى، عبد الرحمن بن عبدالله بن نصر، المنهج المسلوك في سياسة الملوك .

تحقيق على عبد الله الموسى (مكتبة المنار. الزرقاء . الأردن١٩٨٧م) ص ص ٤٧٥– ٤٩٠.

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٣) ابن الأزرق ، أبو عبد الله محمد بن على ، بدائع السلك في طبائع الملك .

تحقيق على سامى النشار (دار الحرية . بغداد ١٩٧٧م) ج١ ص ٣٠٢ .

(٤) سورة الشورى آية٣٨ .

(٥) سورة الجاثية آية ٢٣.

(٦) ابن هشام، محمد بن عبد الملك ، سيرة النبى صلى الله علية وسلم ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٣٧م) ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٧) ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك ،ج١ ص ٣١٣ .

(٨) المسعودى ، أبو الحسن بن على بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر.

(دارالأندلس . بيروت ١٩٦٥م) ج٣ ص ٣٠.

(٩) الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد، التبرالمسبوك في نصيحة الملوك (مطبعة الآداب.القاهرة ١٣١٧ هـ) ص ٦٩ .

(١٠) الطرطوشي أبو بكرمحمد بن الوليد ، سراج الملوك (نشر انطون غندورد .م ١٢٨٩ه) ص ١٣٤ .

(١١) رسالة القاضي العنبري للخليفة المهدى عند وكيع ، محمد بن خلف ، اخبارالقضاة . (المكتبة التجارية الكبرى.القاهرة ١٩٤٧م) ج٢ ص ١٠٧ .

(١٢) نفسة .

(١٣) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ١٢٣

(١٤) ابن حزم ، على بن محمد ، كتاب السياسة ، شذرات منه ملحقة بكتاب ابن الأزرق ، بدائع الملك فى طبائع الملك ، ج٢ ص ٥١٧

(١٥) الطرطوشي، سراج الملوك ص ١٣٢ .

(١٦) ابن المقفع، عبد الله ، رسالة الصحابة منشورة فى كتاب رسائل البلغاء اختيار وتصنيف محمد كردعلى ط ٤ (لجنة التاليف والترجمةوالنشر القاهرة١٩٥٤ م)من ص ١١٧حتى ص١٣٤وما يخص مجلس الصحابة منها ثلاث صفحات ص ص ١٢٩ – ١٣١ .

(١٧) ابن المقفع، رسالة الصحابة عندمحمد كردعلى، رسائل البلغاء ص١٣١.

(١٨) الغزالى ، أبوحامد محمد بن محمد ، احياء علوم الدين ، (دار المعرفة بيروت . د . ت) ج٢ص ص ٣٥١ –٣٥٢ .

(١٩) المرادى ، أبوبكر محمد بن الحسن، كتاب الا شارة الى ادب الامارة . تحقيق رضوان السيد (دار الطليعة. بيروت ١٩٨١ م) ص ١٣٧.

(٢٠) نفسة .

(٢١) نفسة .

من (رجال الدين والدولة) هناك يجولون أقاليم البلاد ويبلغون ولاتها مراسيم الدولة ويتفقدون نظمها الدينية والأدارية ويطلعون على أحوالها عن كتب ويرفعونها الى الملك . الباز العريني ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، (دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٨م) ص ص ٢٨٦- ٢٨٩ .

(٥٨) ابن المقفع، رسالة الصحابة ،عند محمدكردعلى ،رسائل البلغاء،ص١٣٤

(٥٩) ابن الداية، الفلسفةالسياسية،ص٦٨ .

(٦٠) نفسة.

(٦١)المسعودى ، مروج الذهب ، ج٣ص ص ٢٢٠- ٢٢٣ .

(٦٢) الغزالى احياءعلوم الدين ، ج ٢ص ص ٣٥١ - ٣٥٣ .

(٦٣) الطرطوشى، سراج، الملوك ،ص ٥٧.

(٦٤) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٣٩٦ . يقول أحمدشعراء بغداد فى عهد الأمين :

لضاع الخلافة غش الوزير ، وفسق الامام وجهل المسير .

(٤٩) الجهشيارى ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، الوزراءوالكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وزميلية(البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٣٨ م) ص ٣٥٥ .

ابن خلدون ، عبدالرحمن ، المقدمة، ط ٤(دار(٢٣)رسالة القاضى العنبرى عند وكيع ، ابن خلدون، عبدالرحمن، المقدمة ، ط٤ (دارلحياء التراث العربى ، بيروت . د . ت) ص ص ١٦-١٧ .

(٥٠) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ،عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء . ص١٣٠ .

(٥١) ابن المقفع ، رسالة الصحابة،عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء ، ص١٢٩.

(٥٢) ابن المقفع ، رسالةالصحابة،عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء . ص١٢٩.

(٥٣) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء ، ص١٢٩ .

(٥٤) ابن المقفع، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء، ص١٣٣.

(٥٥) الغزالى ، احياء علوم الدين ،ج٢ ص ٣٥١ .

(٥٦) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء ، ص ١٣٠ .

(٥٧) وهى دعوة الى عدم مركزية الادارة فى الحكم التى تطبق فى بعض الدول بصورة من الصور فى العصرالحديث ، وقد كان قريبا من هذا النظام ما كان يعرف فى دولة الفرنجة فى غرب أوربا فى عهد شارلمان المعاصر لهارون الرشيد باسم نظام المبعوثين ويتلخص فى ارسال ثقاة

(٢٢) القاضى العنبرى، هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين من أهل البصرة ، وتولى القضاء فيها ما بين سنتى ١٥٧ و ١٦٦ ه ، اشتهر بعلمه وتبريزه فى الحديث ، توفى سنة ١٦٨ ه . الزركلى ، خيرالدين الأعلام ، (د . ت ، م) ط ٣ ج ٥ ص ٢٤٦ .

(٢٣) رسالة القاضى العنبرى عند وكيع ، أخبار القضاة ص ١٠٧ .

(٢٤) الشيزرى ، المنهج المسلوك فى سياسةالملوك ص ص ٤٨٨ – ٤٨٩ .

(٢٥) ابن خلكان ، ابوالعباس أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان . تحقيق أحسان عباس (دار الثقافة . بيروت ١٩٦٨ م) ج ٦ ص ١٨٢ .

(٢٦) الخطيب البغدادى ، الحافظ أحمد بن على ، تاريخ بغداد (دار الكتاب العربى بيروت . د ت) ج ٨ ص ٢٣٠

(٢٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ص١٥٣ .

(٢٨) المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٥٤.

(٢٩) المصدر السابق ،ج٣ ص ٢٤٧ .

(٣٠) الخطيب البغدادى تاريخ بغداد ، ج ٩ ص ٢٧٨.

(٣١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٨ ص ٧٩٧ .

(٣٢) المقريزى تقى الدين ابو العباس أحمد بن على ،كتاب المواعظ والا عتبار بذكر الخطط والآثار ،(دار صادر . بيروت . د ت) ج١ ص ٣٠٤ .

(٣٣) الطبرى ،ابو جعفرمحمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (دار المعارف . القاهرة ١٩٧٩ م) ج ٨ ص ٦٤ .

(٣٤)الطبرى، ج ٨ ص ١٣٦.

(٣٥)الطبرى . ج ٨ ص ٧٠ .

(٣٦) نفسة .

(٣٧) ابن رضوان ، أبو القاسم المالكى ، الشهب اللامعة فى السياسة النافعة ، تحقيق سامى على النشار (دار الثقافة . الدار البيضاء ١٩٨٤ م) ص ٥٩. ابن الأزرق : بدائع السلك فى طبائع الملك ،ج١ ص ٣٦٣ .

(٣٨) الجاحظ ، عمر بن بحر ، كتاب التاج فى أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكى باشا (المطبعة الأميرية . القاهرة ١٩١٤ م) ص ١٥١.

(٣٩) ابن رضوان الشهب اللامعة ، ص ٥٩.

(٤٠) شاكر مصطفى ، دولة بنى العباس ، (وكالة المطبوعات . الكويت ١٩٧٣ م) ج ١ ص ٥٢٦ .

(٤١) الجاحظ، كتاب التاج ، ص ٢٤ .

(٤٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص ٦٤ .

(٤٣) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٢ ص ٣٠ ، المرادى، كتاب الاشارة الى ادب الامارة ، ص ص٩٩، ٢٠١.

(٤٤) ابن الأزرق ، بدائع السلك فى طبائع الملك ، ج١ ص ص ٣١٠ – ٣١٣ .

(٤٥) الشيزرى ، المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ، ص ص ٥٧٥–٥٧٦ .

(٤٦) الطبرى ، ج٨ ص ١٣٧.

(٤٧) شاكر مصطفى ، دولة بنى العباس ، ج١ ص ٥٢٦ .

(٤٨) ابن الداية ، أحمد بن الداية ، الفلسفة السياسية عند العرب . تحقيق عمر المالكى (الشركة الوطنية . الجزائر١٩٧١ م)ص ٦٨ .